تدريسية التربية الإسلامية: سؤال القيم المدنية وإعادة بناء المعرفة

د. جمال بندحمان

المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين الدارالبيضاء سطات

تقديم

ما طبيعة تدريسية التربية الإسلامية؟ وما علاقتها بالضوابط البيداغوجية؟ ما علاقة تدريسيتها بالقيم المدنية؟

افتراضنا في هذا المقام يعتبر أن تدريسية التربية الإسلامية تخضع للاختيارات العامة التي حددتها الأطر المرجعية الوطنية، وأنها في ذلك ليست صاحبة امتياز ما، وأن تقيدها بذلك دفعها إلى تكييف مضامينها ،وجعل تأويل المعرفة مدخلا للوفاء بالالتزامات البيداغوجية.

ستعتمد برهنتنا على صحة الافتراض مدخلين اثنين هما:

- مدخل التربية على القيم المدنية وفق ما تبنته الوثائق الرسمية؛

ومدخل محتويات مادة التربية الإسلامية في السلكين الإعدادي الثانوي، والثانوي التأهيلي في علاقتها بهذه القيم.

1. المدرسة المغربية وتباين اختيارات التربية على القيم

راكمت المدرسة المغربية منذ أواخر القرن الماضي مجموعة وثائق تربوية أسست لمفاهيم مثل المشاركة والمسؤولية والمحاسبة والاختيار والتسامح وغيرها ؛ مما سيعد قيما فاعلة في الحياة المدنية للمتعلمين. غير أن هذه المفاهيم المتعددة يؤطرها مفهوم جامع هو الحياة المدرسية. كما تؤطرها مجموعة من الوثائق التي حددت الاختيارات الكبرى للسياسة التربوية بالمغرب، لذلك فإن أي دراسة لموضوع القيم ملزمة باستحضار هذه الخلفيات كي تقف على درجة التحول التي وقعت انطلاقا من أواخر تسعينيات القرن الماضي.

هكذا، فإن المؤسسة التعليمية المغربية قد مرت، منذ الاستقلال، بتحولات كبرى مست التصورات والتشريعات، و انتهت إلى التو افق حول ميثاق وطني للتربية والتكوين تم إقراره سنة 1999، والذي أكد على أن المؤسسة التعليمية ليست فضاء لتعليم المعارف النظرية أو التطبيقية المؤهلة للاندماج في المحيط السوسيو مهني، بل إنها فضاء للتنشئة الديمقراطية يهدف إلى تكوين مواطنين مسؤولين ومدركين لحقوقهم وواجباتهم ،ومتشبعين بثقافة الحوار والتسامح والتعايش. وقد تجلى هذا التحول في العديد من الالتزامات التي ابتدأت منذ 1994 تاريخ توقيع اتفاقية إدخال التربية على حقوق الإنسان في التعليم العمومي بين وزارة التربية الوطنية ووزارة حقوق الإنسان، وما تلا ذلك من مبادرات و اتفاقات و شراكات، وإصدار النصوص المنظمة والمراسيم القانونية والمذكرات التنظيمية التي أصبحت موجهة بحقل دلالي يعكس الغايات المتوخاة من المؤسسة التعليمية، حيث تو اترت مفاهيم الحياة المدرسية، والحقوق والواجبات، والتدبير التشاركي، والسلوك المدني والتسامح والحوار والتعدد والثقافة السياسية وغيرها من المفاهيم المؤطرة بمفهوم المواطنة.

ولبلورة هذه التصورات عمليا تم إصدار العديد من القو انين والمراسيم التي تستقي مقوماتها من الثقافة الحقوقية، وتعمل على خلق توفيق بين المرجعيات الكونية والخصوصية الدينية و المحلية، كما تم تحرير الكتاب المدرسي الذي لم يعد كتابا وحيدا في كل مادة، تصدره الوزارة المسؤولة عن القطاع مثلما كان عليه الأمر سابقا، بل أصبح كتابا متعددا في المادة الواحدة، بناء على دفتر تحملات([1])وتنافسية بين المؤلفين الذين يشكلون فرقا بيداغوجية تدخل في مسار عمليات أخرى تقود في النهاية إلى انتقاء الكتب الأكثر احتراما لمعايير دفتر التحملات، بإشراف لجان متعددة تسهر على عمليات التقييم المختلفة، وتضم هذه اللجان:

- **خبراء في مادة التخصص يشرفون على تقييم المضامين والمرجعيات بما فيها المستوى العلمي للنصوص المعتمدة، واحترام أدبيات البحث العلمي، ومدى احترام الخطوات المنهجية المقررة رسميا،وغيرها من التفاصيل ذات الصلة بالجو انب المعرفية والبداغوجية والديداكتيكية.**

- **لجنا حقوقية تهتم بمدى تقيد الكتب المدرسية بالمعايير الحقوقية المتضمنة في دفتر التحملات، والتي تؤكد على ضرورة تجنب أحكام القيمة تجاه الآخر أو المو اقف المتعصبة أو الإقصائية، أو تلك التي تحرض على العنف، أو غيرها من الأحكام المخالفة للمو اثيق الحقوقية والإنسانية والدينية.**

[1]. دفتر التحملات وثيقة رسمية تصدرها الوزارة تتضمن الشروط والمواصفات التي ينبغي أن يلتزم بها المؤلفون، كما تحدد المحاور الدراسية التي ينبغي أن تعتمد في كل مادة دراسية، وحجم الكتاب وغيرها من الشروط التقنية, ويعد دفتر التحملات هذا الأساس التعاقدي الذي تعتمده اللجن التي تشرف على تحديد الكتب المدرسية المتبارية من أجل اختيار أجودها وأكثرها التزاما بالمعايير المحددة في هذا الدفتر الذي يعدوثيقة تعاقدية.

ورغم القيمة الإجرائية لهذه الاختيارات فإنها تواجه تحديا كبيرا يتعلق بالأولويات المعتمدة على مستوى المرجعيات التي تقدمها دفاتر التحملات التي تسمح بالجمع بين مرجعيات يتساوى فيها الكوني مع المحلي والديني،، وهذا ما يؤدي إلى تغليب مرجعية على أخرى، وينعكس بالتالي على مستوى التصورات والاختيارات،وهو ما يفسر التباينات الممكنة بين مضامين الكتب المدرسية في المادة الواحدة. ويمكن تعليل هذا الأمر بكون المدرسة لا تعلم إلا ما حصل بشأنه إجماع وطني، ومادام الأمر في مجال هذه المرجعيات لم يحسم مجتمعيا فمن الضروري أن ينعكس ذلك على محتويات الكتاب المدرسي، فداخل المجتمع هناك تيارات متباينة؛يدعو بعضها إلى جعل المرجعية الكونية أساسا وأولوية، ويدعوبعضها الآخر إلى جعل ما هو محلي أولوية. ...لذلك نجد في دفاتر التحملات حديثا عن كل هذه القيم :الكونية والإسلامية والعربية والمحلية، وعندما يأتي مؤلف الكتاب المدرسي يصبح من حقه أن ينتقي من كل هذه المرجعيات، مما ينعكس بالضرورة على المحتويات العامة.

ورغم هذه الإكراهات الموضوعية نلاحظ أن الوزارة الوصية على القطاع عملت على مسايرة متطلبات التجديد والتطوير للتربية على مبادئ حقوق الإنسان وقيم المواطنة، فقامت بإحداث عدة آليات لترسيخ القيم الحقوقية في المنظومة التربوية، نذكر منها:

- إنشاء اللجنة المركزية لحقوق الإنسان والمواطنة ومرصد القيم؛

- تحديد الشروط والمواصفات والمقومات التي ينبغي أن تتحكم في الكتب المدرسية؛ حيث لكل مادة دفتر تحملها بناء على خصوصياتها، وهو دفتر يحدد المواصفات البيداغوجية والتقنية والفنية والتنظيمية من خلال البنود الآتية:

- احترام الكتاب المدرسي الدين الإسلامي والمقتضيات المتضمنة في مدونة الأسرة والمبادئ والحقوق المعترف بها للأفراد والجماعات والمعاهدات والمواثيق الدولية المصادق عليها من لدن المملكة المغربية.

- احترام الكتاب المدرسي المبادئ الأساسية لحقوق الإنسان كالتسامح ولمساواة والكرامة كما هو متعارف عليها في فكر وثقافة حقوق الإنسان باعتبارها قيم أصيلة لا تقبل التجزيء.

- التعايش ومراعاة حق الاختلاف، طبقا لمبادئ التسامح الواردة في الدين الإسلامي وطبقا لما عرف به المغاربة من انفتاح على الديانات والمذاهب والتيارات الفكرية والتعايش معها.

- احترام الكتاب المدرسي مبادئ الإنصاف والمساواة ومساهمته في نبذ العنف بجميع أشكاله.

2. آليات خادمة لثقافة القيم

تغيرت الكثير من مضامين الكتب المدرسية منذ تسعينيات القرن الماضي، وقد ساهم في ذلك:

- حذف مادة التربة الوطنية، وتعويضها بالتربية على المواطنة؛ وهي المادة الحاملة لعدد من القيم والمبادئ الحقوقية بما فيها قيم التعايش والمشاركة؛

- تضمين عدد من المواد الدراسية نصوصا حول حقوق الإنسان، وحقوق المرأة ؛ ومقاربة النوع الاجتماعي، والتعدد الثقافي، والمشاركة السياسية وحقوق الطفل.

- إصدارعدد من المذكرات الوزارية التي تحث على تخليد أيام عالمية ووطنية وحقوقية؛

-إصداروثائق تنظم الحياة المدرسية، وتبين أهمية قيم التعايش في مجتمع المدرسة باعتباره صورة مصغرة للمجتمع؛

- جعل السلوك المدني محورا أساسيا ضمن فعاليات المنظومة التعليمية؛

- توقيع اتفاقيات الشراكة مع جمعيات حقوقية، وأخرى تدخل ضمن مكونات المجتمع المدني.

.3 الكفايات وبيداغوجية القيم

أدى اختيار التعددية في الكتاب المدرسي في المادة الواحدة إلى التجديد في الآليات البيداغوجية المواكبة له. ذلك أن تعددية هذا الكتاب بما تعكسه من اختيارات ديمقراطية جعلت الاجتهاد والابتكار والتفكير الإبداعي معايير للتنافس، ومعايير للاختيار، لكن ذلك ربط بمدخل بيداغوجي يجعل تنمية الكفايات وتطويرها الغاية الأسمى.

هكذا ،فإن بيداغوجية القيم التي تم تبنيها رسميا حتمت جعل ربط التعلمات بالكفايات مرتكزا أساسيا يفوق في إستراتيجيته العامة المضامين ذاتها.، وهذا ما تطلب ربط ديباجة جميع الكتب المدرسية بتحديد الكفايات المتوخاة، وأهمها الكفايات القيمية التي تسمح للمتعلم بالتكيف مع قيم المجتمع والتفاعل معها إيجابيا، والتأقلم مع المحيط الخارجي، والتعايش مع الآخر بغض النظرعن معتقداته ولغته وجنسه.

1.3.الكفايات المستعرضة

إضافة إلى ذلك تم الأخذ بمفهوم الكفايات المستعرضة، وهي الكفايات التي لا تخص مادة تعليمية واحدة، بل تشترك فيها جميع المواد بغض النظر عن طبيعة محتوياتها على نحو ما نجد في هذا النموذج(:[2])

المرجع	الكفايات المستعرضة
في رحاب الفلسفة	- التحلي بأخلاق الحوار والتصرف انطلاقا من قيمه الإيجابية - امتلاك ثقافة عقلية منفتحة ومواطنة - التشبع بقيم التسامح والاعتدال ونبذ العنف والانخراط الإيجابي في الحياة العملية.

2.3.الكفايات الإستراتيجية

برصدنا لوضع الكفايات في الكتب المدرسية فإننا نسجل قوة حضور الكفايات الإستراتيجية التي تعد كفايات متحكمة في غيرها على نحو ما يتضح من تسميتها، ذلك أنها ذات صلة وثيقة بقيم الانفتاح على القيم المدنية ، وتقوية الميول الإيجابية والانفتاح على القيم الإنسانية. ويسمح لنا الجدول أسفله بتحديد قوة هذا الحضور في جزء من المواد الحاملة للقيم بالمرحلة الثانوية التأهيلية:

الكفايات الإستراتيجية	الكتاب المدرسي([3])
- تعزيز قيم الثقة بالنفس وقيم التفتح واحترام رأي الآخر؛ - تعزيز الانتماء الوطني والتشبث بالهوية الثقافية والحضارية مع الانفتاح على القيم الإنسانية. - تعزيز المواقف والميول الإيجابية - تكوين الحس النقدي في إطار التكوين الذاتي للشخصية - استثمار القيم الإنسانية والروحية والمثل العليا، التي تعبر عنها النصوص المختارة	(منار اللغة العربية الشعبة العلمية والتقنية السنة 2 باكلوريا ص 4)
- اكتساب بعض القيم التي يتأسس عليها التفكير الفلسفي ويعمل على ترسيخها لدى المتعلم - كقيم العقل والحرية والنقد والمسؤولية واستقلال الشخصية وتوازنها تأمل المعيش والأفكار والمعارف والممارسات و اتخاذ موقف واع منها.	في رحاب الفلسفة،الجذوع المشتركة للتعليم الثانوي

2.. أخذ هذا النموذج من كتاب : في رحاب الفلسفة. الجذوع المشتركة للتعليم الثانوي التأهيلي. الدار العالمية للكتاب ومكتبة السلام الجديدة، ط 2005،الدار البيضاء. ص 6.وقد تعمدنا اختياره من مادة الفلسفة كي تتم المقارنة مع غيرها وبخاصة التربية الإسلامية .

[3]. انظر المعطيات المتعلقة بهذه الكتب المدرسية في لائحة المراجع.

	التأهيلي. (ص 6)
وفي ديباجة الكتب كثيرا ما نجد معنى هذه الجملة يتكرر(نأمل أن تجدا فيه ما يستجيب لحاجاتكما المعرفية والثقافية والمنهجية داخل المدرسة وخارجها. وما يعزز لديكما قيم الفلسفة الأساسية: قيم العقل والحرية والمواطنة والدفاع عنها)	ص 3 في رحاب الفلسفة. السنة الثانية من سلك الباكلوريا، ص3.

من الواضح جدا أن طبيعة الكفايات المستعرضة أو الاستراتيجية تقترن أساسا بالتربية على القيم، وهذا ما يعني أن هذا الاختيار ليس مجرد اختيار تربوي، بل إنه اختيار مجتمعي كذلك، يساير طبيعة النقاش الدائر في المغرب حول الانتقال الديمقراطي وما يقتضيه من تغيير في وظائف مؤسسات التنشئة الاجتماعية المختلفة.

4.من الكفايات إلى المضامين: القيم في الكتب المدرسية

كانت الاختيارات التربوية الكبرى السابق ذكرها الموجه الأساس لمضامين الكتب المدرسية ومحتوياتها، بل إن هذه الكتب أصبحت مجرد إجراء تنفيذي للتصور العام الذي تم تبنيه، لذلك سيكون حضور القيم المدنية مهيمنا من خلال الانفتاح على مفاهيم التسامح والسلام والسلم الاجتماعي والحرية والتعايش والديمقراطية والتضامن والانفتاح والحداثة والحوار الحضاري؛ مقابل نبذ المفاهيم السلبية كالإرهاب والانغلاق والتطرف والإقصاء والعنف والتمييز العنصري وصدام الحضارات وغيرها. وهو ما تبينه النماذج التي تم الاشتغال عليها سواء في المرحلة الثانوية الإعدادية الثانوية أو الثانوية التأهيلية.

1.4. مضامين التربية الإسلامية في علاقتها بالقيم المدنية (الثانوي الإعدادي)

قد تكون مادة التربية الإسلامية أكثر المواد التي تعرضت لانتقادات، ففي تقييمات سابقة لوضع هذه المادة في الكتب المدرسية اعتبر أصحابها أنها ترسخ فكرة أن جميع الأديان محرفة، وأنها بتلقينها هذا المبدأ للتلاميذ تقتل فيهم حوار الأديان، كما انتقدوا تناولها لموضوع الحدود في الإسلام، واعتبروا أن تدريس التلميذ مثل هذه الأمور قد يؤدي إلى نتائج عكسية على فكره؛ لأنه لم ينضج بعد من الناحية العقلية لاستيعاب هذه الأمور بشكل جيد، وقد يؤدي إلى إذكاء روح التطرف لديه. ومن جهة أخرى اعتبرت هذه التقييمات مقررات التربية الإسلامية غير متماشية مع مضامين مدونة الأسرة الجديدة التي أعلنت عن مكاسب مهمة للمرأة المغربية والأسرة، وحققت مساواة بين المرأة والرجل في الكثير من النواحي. كما كشف ذلك عن تناقض في بعض المقررات التي تدرس التلاميذ مبدأ التسامح،تعطيهم مثالا على ذلك بدعوة المسلم إلى التسامح مع أخيه المسلم في حين أن الصواب، هو التسامح مع الكل،المسلم وغير المسلم.

مشكل هذه الانتقادات أنها ذات طابع عام، فهي لا تنطلق من المعطيات النصية أومن الوثائق، لذلك فإننا سنعمل على تجاوز هذا النقص بالتركيز على عينة من مقررات التربية الإسلامية في الثانوي الإعدادي، وستكون وجهتنا كتاب في رحاب التربية الإسلامية([4])، علما بأن جميع كتب مستوى معين محكومة بمحاور موحدة تحددها دفاتر التحملات، ولذلك فإن الاشتغال على أحدها يوصل إلى نتائج ذات طابع تعميمي.

لنبتدئ بالمحاور العامة التي يتم تدريسها في هذا المستوى حيث نجد:

(الإسلام عقيدة وشريعة- الإسلام دين الوسطية والاعتدال- نصرة العقيدة أوثق من نصرة القرابة- عالمية الإسلام).

تتوخى هذه المحاور تحقيق القدرات الآتية:

- إدراك الارتباطات القائمة بين العقيدة والشريعة وتمثلها؛
- تمثل قيم الوسطية والاعتدال في علاقتها بقيم حقوق الإنسان الداعية للتسامح؛
- تقدير آصرة العقيدة في بناء منظومة العلاقات الإنسانية؛
- اكتساب مفهوم عالمية الإسلام وتمثل أبعاده الكونية.(ص 9)

بحكم طبيعة المادة يتم الاستشهاد بالكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية المؤكدة للعناوين الكبرى المقررة، ففي إطار تأكيد وسطية الإسلام واعتداله يتم تقديم شروحات لغوية لمعنى الغلو والتشدد و إبرازعو اقبهما السلبية على الفرد والجماعة، مع التأكيد على أن التشدد في الدين ينفر الناس منه ويكرههم فيه. وفي إطار تأكيد عالمية الإسلام يتم التذكير بالرسالات السابقة في علاقتها بالإسلام حيث يتم الاستدلال بعدة آيات قرآنية مثل:

(شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك، وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) سورة الشورى، الآية 13.

(و أنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق) سورة المائدة الآية 48.

(أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر و أنثى وجعلنا شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم، إن الله عليم خبير) سورة الحجرات، الآية.13

[4]. في رحاب التربية الإسلامية، السنة الثالثة من التعليم الثانوي الإعدادي، الدائر العالمية للكتاب، السنة 2005،الدار البيضاء.

هكذا يتم انتقاء آيات بعينها لأنها أكثر قدرة على ترسيخ القيم الإيجابية، وهو أمر نجده كذلك في تناول مفهوم آخر هو (حسن الجوار) الذي يدافع على أهمية التعايش بين الناس باعتبارهم بشرا. لذلك يحدد الكتاب دلالاته في:

- إرساء الأمن الاجتماعي؛
- إنشاء مجتمع متلاحم؛
- إقامة السلام العالمي بين الشعوب.(ص 53).

ورغم أن بعض الدروس تبدو مقحمة، فإن تعليلها هو فتح المادة على المستجدات الكونية، مثال ذلك نجده في درس بعنوان: توجيهات إسلامية للاستفادة من وسائل الإعلام المكتوبة والمقروءة. (ص 70)، أو توجيهات إسلامية للاستفادة من وسائل الإعلام والإعلاميات والأنترنيت؛ حيث يتم تقديم نصائح اعتمادا على تأويل آيات قرآنية تنصح بالصدق والأمانة والنفع والفائدة وتجنب الأضرار.

إذا أردنا البحث عن تعليل وجود مثل هذه الدروس فإننا نقول إنها محاولة للانفتاح على الإشكالات الجديدة، وهو انفتاح يخدم أحيانا القيم الإيجابية المرادفة لقيمة التسامح، مثلما هو الحال مع الحديث المتعلق بالتواصل والذي يقدم نماذج من سيرة الرسول (ص) التي تؤكد طابع التواصل المباشر مع بني البشر مما يخلق الألفة والتعايش.

إعادة بناء مادة التربية الإسلامية، إذن، هو الإطار العام الذي يحكم اختيار المحاور المقررة، لذلك سنجد حديثا عن (رعاية الإسلام للحق العام) مع التأكيد على أن مقاصد الإسلام هي حفظ الضرورات الخمس:

- حفظ النفس- حفظ الدين- حفظ العرض- حفظ العقل- حفظ المال. (ص 79).

لقد كانت لهذا الاختيار إيجابياتها التي جعلت واضعي الكتب المدرسية يجتهدون في تقديم تأويلات إيجابية لنصوص قرآنية وأحاديث وممارسات نبوية، إذ ينبغي ألا ننسى أن مؤلفي هذه الكتب تحكمهم دفاتر التحملات التي تحدد المحاور المقررة وشروط النصوص وغيرها مما يعد جزءا من التعاقدات التي تبنى على الاختيارات العامة للسياسة التربوية.

ضمن هذا الإطار نجد عدة نماذج تتبنى قيم التسامح مباشرة أو إضمارا، مثال ذلك نقدمه من درس بعنوان (نماذج ومواقف من رعاية الرسول (ص) للحقوق) حيث نجد الفقرة الآتية:

(إقراره مبدأ المساواة والمؤاخاة: فقد سوى بين المسلمين وغيرهم في الحقوق والواجبات. فوضع الرسول (ص) أسس المجتمع المدني المتميز برعاية الحقوق المدنية، وحقوق المواطنة لكل أفراد المجتمع، باختلاف أجناسهم وأديانهم. وهذه الأسس هي التي

نص عليها الميثاق العالمي لحقوق الإنسان وخصوصا في المادة 1(يولد جميع الناس أحرارا ومتساوين في الكرامة والحقوق...) وفي المادة 2(لكل إنسان حق التمتع بجميع الحقوق...دونما تمييز من أي نوع ولاسيما التمييز بسبب العنصر أو اللون، أو الجنس، أو اللغة أو الدين) (ص 85.)

يبدو،إذن، أن روح التحول العام تمس هذه المادة، وأنها تتضمن تصورات لها صلة مباشرة بتصور الإسلام نفسه لبعض القضايا لكن طبيعة الاختيارات الرسمية حتمت على المؤلفين الاجتهاد من أجل منح قراءات منفتحة حقها في الوجود مما ستكون له انعكاسات إيجابية على ذهنية المتلقين.

2.4. مضامين التربية الإسلامية في علاقتها بالقيم المدنية(التعليم الثانوي ألتأهيلي)

تختلف محتويات مادة التربية الإسلامية([5] ف)ي السلك الثانوي التأهيلي عن مثيلتها في التعليم الثانوي الإعدادي، وهو أمر مفهوم اعتبارا لسن المتعلمين وأهداف المرحلة الدراسية. لذلك نجدها تركز في هذا المستوى على قيم عليا مثل التربية الاقتصادية والمالية وقيم التواصل وضوابطه، معنى ذلك أن آلية النقل الديداكتيكي تشتغل هنا بشكل مغاير، إذ تعتمد مبدأ التكييف استنادا إلى آلية تأويل المضامين كي تنسجم مع طبيعة التوجهات العامة رغم ما يمكن أن يطرح على هذا التأويل من أسئلة وتساؤلات.

هكذا، نجد تناولا لأدب الحوار وأدواره في الحياة، والاختلاف وكيفية تدبيره، إضافة لبعض القضايا ذات الصفة الأخلاقية والصحية مثل مقومات الصحة النفسية والعفة ودورها في حياة الفرد والمجتمع.ومن المهم هنا الإشارة إلى أن المادة تبتدئ بتحديد الإشكالات التي ستعالجها المادة الدراسية، ففي تحديد الإشكال الأساس لدرس مثل قيم التواصل وضوابطه نجد:

- بم يمكن تجاوز عوائق التواصل المنشود؟ وما سبب الوقاية من سوء الفهم وعوائق التواصل؟

- بم يمكن تغليب خيار الحكمة على خيار العنف، وما القيم المحققة للتواصل المفضي إلى التعايش؟ (ص 14)

تصبح النصوص والاستشهادات المقدمة مجرد وسيلة للإجابة عن هذه الإشكالات حيث يتم تحديد مقومات التواصل الفعال مع الغير باحترامه والاستماع إليه وتقديره. وتبدو قيمة هذه التحديدات هنا في كونها لا تقيد هذه الطرق في التعامل بعقيدة أو لون أو عرق، بل إنها تتكلم عن الإنسان باعتباره إنسانا، وهو شيء جد مهم في مجال التربية التي تسعى إلى ترسيخ القيم. ولعل ما يؤكد صحة هذا الاستدلال هو نوعية النصوص التي يتم الاستشهاد بها، والتي يؤكد أحدها على:

[5]. اعتمدنا في هذا الجزء على محتويات كتاب: رحاب التربية الإسلامية، السنة الأولى من سلك الباكلوريا، مكتبة السلام الجديدة والدار العالمية للكتاب. السنة 2005، الدار البيضاء.

(إن التواصل الفعال يستلزم الحوار البناء، وكل حوار بناء تحكمه قواعد وأخلاقيات أهمها:

- التسليم بأن الآخر مختلف عن الذات، لذلك يجب احترامه ومنحه حقه في الكلام، وفي الرأي والاختلاف، والتسليم بأن الحقيقة الفكرية حقيقة نسبية وليست مطلقة؛

- تجاوز الحساسيات الدفينة والانطلاق من الأهداف المشتركة والمشاريع الجماعية؛

- تدبير الاختلاف والوصول إلى تو افقات وضو ابط للعلاقات الجماعية؛

- نبذ الحوار العنيف الذي ينهج أسلوب التهجم والمواجهات الشخصية ويستهدف الخصام والتصادم. وعموما فإن التواصل الناجح يتطلب تحقيق مصالحة مع الذات ومع الآخر...والتحلي بروح المسؤولية). العربي السليماني، التواصل التربوي، ص 11. منشورات مطبعة النجاح الجديدة ط 1، 2005،الدار البيضاء.

قيمة هذا النص ليست في ذاته، بل في ارتباطه بمادة التربية الإسلامية التي كثيرا ما وصفت بالجمود، ولعل القارئ الذي تعود على نوع من الخطابات سيجد نفسه حائرا في التصنيف، ورغم أن دروسا تتلو هذا النص تعرف بأدب الحوار دينيا من خلال آيات قرآنية أو أحاديث نبوية فإنها بقيت محكومة بتلك الرؤية التي عبرت عن انفتاح كبير، وهو انفتاح نجده في درس آخر عنو انه له دلالة متميزة (الاختلاف:آدابه وتدبيره) (ص 33)، ولعل في العنوان نفسه ما يفيد الاختيار المتبنى، إذ لايتم الإقرار بالاختلاف، بل يتم التأكيد على تدبيره، وتحديد أسبابه المتمثلة في:

النزعة الفردية- تفاوت الفهم- تباين المو اقف والاختيارات والمعتقدات. (ص 33)؛

ولإبراز آداب الاختلاف في الإسلام يتم التأكيد على محتويات تقدمها نصوص مثل هذه:

(إن الأصل في الاختلاف بين الناس اختلاف تنوع لا تضاد لما يفضي إليه من غنى فكري وتقدم علمي، ورقي حضاري، لذلك قيده الإسلام بآداب تقي المختلفين من الصراع والعداء. ومن هذه الآداب:

أ. التسامح: وهو خصلة من خصال الإيمان التي ترتقي بسلوك المختلفين من مستوى التعصب إلى مستوى التراضي، وتعينهم على التطاوع بدل التنازع للوصول إلى التكامل والحوار البناء.....

ب. قبول الآخر: وهو أن يعترف كل من المختلفين بالآخر، فيعطيه حق تداول الكلام وعرض آرائه بشكل لايلغي ذاته ولا ينفي قناعاته إلا بدليل...) (ص 35).

تضاف إلى هذه التحديدات صيغ أخرى مثل الحديث عن القواعد القانونية والشرعية لتدبير الاختلاف. ومعنى ذلك أن هذه الدروس لم تكتف بإقرار الحق في الاختلاف، بل عملت على التنظير لكيفية تدبيره من داخل المنظومة الإسلامية في استحضار تام للنصوص القانونية والحقوقية، وهو تطور مهم جدا في مضامين هذه المادة، لذا ينبغي التأكيد عليه والمطالبة بتعميقه وتطويره.

خاتمة

استعرضنا في هذه الدراسة الخلفيات المؤسسة لوضع القيم في المدرسة المغربية، وهي خلفيات ذات أساس مرجعي حقوقي وقيمي، تم بنيه منذ تسعينيات القرن الماضي، مما أفرز مفاهيم وجهت كل الاختيارات اللاحقة وضمنها مقومات الكتاب المدرسي الذي أصبح موجها بحقل من القيم ذات الصلة بحقوق الإنسان والتربية على المواطنة وترسيخ السلوكات المدنية. ويبدو أن الطريقة المعتمدة في اختيار الكتب المدرسية بالمغرب قد قطعت أشواطا مهمة في أفق دمقرطتها، وجعلها خالية من كل أصناف الإقصاء والتعصب واللاتسامح، لذلك ارتأينا أن نركز كثيرا على الشروط التي يتم فيها إنتاج هذا الكتاب، فمن جهة أصبح مقيدا بدفاتر تحملات تركز على البعد القيمي ، ومن جهة ثانية دخل هذا الكتاب باب التعدد في المادة الواحدة، مما سمح بخلق تنافسية كانت مردوديتها جيدة بيداغوجيا ،وفي مجال القيم.

لقد مكنتنا هذه الدراسة من تسجيل أهمية الإجراءات المصاحبة لإنتاج هذا الكتاب؛ لأنها تحميه من الشطط، وتوجهه إلى فسحة القيم المدنية النبيلة، وقد ظهرت آثار ذلك واضحة في المواد الحاملة للقيم التي أصبحت طافحة بحقل القيم في صورتها الإيجابية والكونية، بل إن مؤلفي هذه الكتب أصبحوا مضطرين إلى الاجتهاد المعرفي من أجل البحث في الصيغ التي تحميهم من التناقض مع الطموحات المعلنة رسميا، والتي تجعل القيم المدخل الأمثل لكل تعليم ناجح وفعال.وفي هذا الباب فإن التربية الإسلامية تصبح جزءا من نسق شامل عليها التكيف معه باجتهادات تأويلية تعيد قراءة المضامين وفق ما يضمن لها الانسجام مع الاختيارات العامة.

المراجع المعتمدة:

- التربية على حقوق الإنسان والمواطنة في منظومة التربية والتكوين –فبراير 2007-وزارة التربية الوطنية.

- إعلان مبادئ بشأن التسامح – 1995- الصادرعن منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة؛

- الميثاق الوطني للتربية والتكوين 1999.

-- تقرير المجلس الأعلى للتعليم، التقرير السنوي 2008.

- دليل الحياة المدرسية،وزارة التربية الوطنية والتعليم العالي وتكوين الأطر، نسخة 2008 ونسخة 2011.

- كتاب رحاب التربية الإسلامية، السنة الأولى من سلك الباكلوريا، مكتبة السلام الجديدة والدار العالمية للكتاب. السنة 2005، الدار البيضاء.

-كتاب في رحاب الفلسفة،مكتبة السلام الجديدة والدار العالمية للكتاب، السنة 2005،الدار البيضاء. السنة الثانية من سلك الباكلوريا.

- كتاب منار الفلسفة، طوب إيديسيون، السنة 2005، الدار البيضاء.السنة الثانية من سلك الباكلوريا.

- كتاب منار الفلسفة، طوب إيديسيون، السنة 2005،الدار البيضاء، الجذوع المشتركة؛

- كتاب في رحاب الفلسفة، مكتبة السلام الجديدة، والدار العالمية للكتاب، السنة 2005،الدار البيضاء. الجذوع المشتركة.

- كتاب الرائد في اللغة العربية، الجذوع المشتركة، دار النشر المغربية، السنة 2005، الدار البيضاء.

- كتاب في رحاب الفلسفة. الجذوع المشتركة للتعليم الثانوي التأهيلي. الدار العالمية للكتاب ومكتبة السلام الجديدة، ط 2005،الدار البيضاء.

- كتاب في رحاب التربية الإسلامية، السنة الثالثة من التعليم الثانوي الإعدادي، الدار العالمية للكتاب، السنة 2005،الدار البيضاء.